فن الرسم الجداري القديم ولغة الاتصال البصري

محمد جاسم العبيدي
الجامعة المستنصرية – كلية التربية الأساسية

ملخص البحث :

يندرج هذا البحث ضمن دراسة لغة الاتصال البصري، للرسوم الجدارية الرافدينية القديمة ليتناول مفاهيم ووظائف عناصر الرسم الجداري ولغة الاتصال وفق مفاهيم الافكار والتقنية الادائية التي تمكن من خلالها الفنان الرسام الرافديني الاول من أختراق الخطوط الفاصلة في أدراج أفكار الواقع وأعطائها صورة تعبيرية وكذلك معرفة الرموز في عصور (قبل الكتابة) لتكون بديلاً لثقافة بصرية ولفظية جديدة حيث لم تكن مكملة لها وأنما ينحاز للفن الجداري هذا الامر، وبمعرفة تقدم العلوم اليوم ترى الفلسفة والعلم والفن أن نشكل نسق معرفي متكامل ومتفاعل، ليزيد من أهمية فنون بلاد الرافدين (الرسوم الجدارية) موضوع البحث لينقل من خلال الرسوم تحولات المجتمع يختزل المسافات والزمن ووفرة المساحات والجهد ليثبت أنها أمكانيات الابداع موجودة في كل أشكال الفنون، في الرسم والنحت والفخار وفنون العمارة.

مشكلة البحث:

تقوم مشكلة البحث على عدد من التساؤلات التالية:

1-كيف يتم أخراج متطلبات أشكال وهيئات الشخوص في الرسم الجداري من خلال الرسائل البصرية؟

2-ماهي المشتركات في عناصر الخلق والابداع الفكري والمادي التي تحقق متطلبات اللغة البصرية من خلال الرسوم الجدارية الرافدينية القديمة.

3-ما المقاييس والمواصفات والقوانين التي نظمت عناصر الفنون الفكرية والمادية لتكون نظام عمل معين للرسوم.

أهداف البحث:

يهدف البحث الى دراسة وتطور الرسوم الجدارية الرافدينية القديمة وكشف وسائل لغة الاتصال البصري، والواقع الافتراضي للأفكار والرموز وتشكيلها ضمن عناصر العمل الفني، ويفترض البحث ضرورة مراحل المتغير للرسم الجداري من الكهوف والمغارات الى أماكن المعابد والاماكن ذات الفعاليات المرتبطة بالمعتقد الديني الى القصور الملكية، ويفترض أيضاً مواضيع الرسم الجداري في بلاد الرافدين التي ينبغي الكشف عنها بلغة ورسائل بصرية متكاملة. ولتحقيق هذه الفرضيات.

سيتم بلورة الاطار النظري بمفاهيم الرسم والرسم الجداري ومن ثم كشف لغة الاتصال البصري، ويخلص الى البحث الى نتائج ومناقشة النتائج التي توصلنا اليها.

حدود البحث:

يتعرض البحث الى الرسوم الجدارية الرافدينية القديمة من بدايات ظهور الرسوم الى رسوم القصور الملكية، ويتعرض الى أهم الرسوم التي تقوم على عناصر مهمة من أدارة الفراغات المرتبطة بلغة الرسالة البصرية. وعناصر الفراغ المرتبطة باللغة البصرية التي مثلت مفاهيم التقنية والافكار ضمن الاطار الموضوعي والاطار التقني المتمثل بالالوان.

المقدمة :

يتناول البحث الرسوم الجدارية الرافدينية القديمة، في أطار المنهج العلمي للتفكير والمنهج الفني للتعبير والمهارة المعرفية، لوسائل نظرية الاتصال الادراكي (الحسي والذهني) والتي تتمثل في أساسيات كيفية وصول المعلومة التأريخية أولاً ومن ثم المعلومة الفنية ذات الفكرة المصممة الى المتلقي ولاسيما هناك أرتباطات واضحة مابين القديم والمعاصر.

يتناول البحث مقدمة تاريخية عن الرسوم الجدارية، وأول الرسوم التي رسمها الفنان الرافديني القديم. ومن ثم الكشف عن أفكار ومعطيات البيئة الطبيعية، ومستوى الخبرة العلمية من خلال الاداء التقني وأستخدام الالوان في عملية الرسم وتحضير الجدران المهييء لغرض أنطلاق الافكار وأتباع الأسس العامة لتكون أنطلاقة لبقية الفنون القديمة الأخرى في بلاد الرافدين.

ويتناول البحث تقنية الافكار ونظم ونقل الرموز بأشارات ذات أنظمة أتصال بينت الادراك الحسي، التي عبرت عنه الرسوم الجدارية في بدايتها ووجودها في الكهوف والمغارات التي كانت تمثل البناء التكويني للجماعات الاولى.

ومن هنا بلغ الاهتمام بالفنون القديمة، والتي كان منها الرسم الجداري هو أحد الهيئات التشكيلية الجميلة والجذابة، والتي أعطت أتفاقات كبيرة مع أهميتها وتفاعلها في الحياة الاجتماعية القديمة، وأظهار القوة التعبيرية للتشكيل والنظم الرمزية للأفكار. ومن خلال ذلك يرى الباحث أن كل الفنون القديمة منها وحتى المعاصرة، أخذت تشترك في عنصرين مهمين في الخلق والابداع الفكري والمادي، ويعطيها دور في تحقيق المتطلبات الانسانية في مختلف الميادين.

وتأسيساً على ماتقدم ثم وضع مقاييس ومواصفات ومباديء وقوانين لتخطيط وتنظيم عناصر الفنون الفكرية والمادية لتكون ((نظام عمل فني في لغته وأساليبه))[1].

ولغرض أظهار مقاربة فكرية لبيان فاعلية الرسم الجداري القديم وأحالته الى الحياة المعاصرة، كونت تخطيطاً معاصراً قد يخدم المقارنة مابين القديم والحديث.

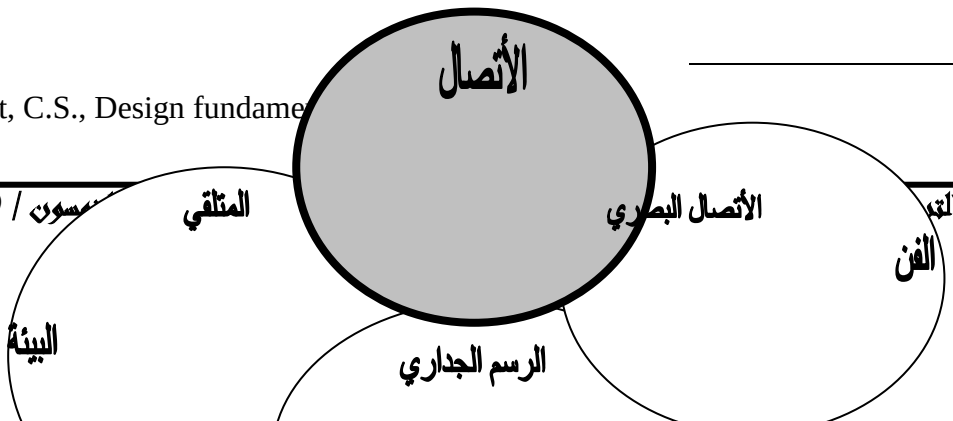

1 – Robert, C.S., Design fundame

مخطط رقم ((1))

هنا لابد من أعطاء فرصة تصويب تاريخي مع مفاهيم الاتصال البصري، بحثاً عن المكان الذي تتشابه فيه الافكار، ولكن هنا الخريطة المستخلصة، من نصوص الرسم الجداري القديم هو أحداثيات المكان التي تتطابق مع ماهو موجود للرسم الجداري في بلاد الرافدين، ورسوم كهوف فرنسا وأسبانيا، وبالرغم من أنها تبدو للمتلقي لغة مجهولة، لايعرف أحد في كيفية أعطاءها فرصة اللغة كون وجودها ضمن فترات التاريخ سبقت التدوين وعصر الكتابة، وبها شهدت تلك الفترة التاريخية الطويلة بعض التغييرات بالمفاهيم المعاصرة، في أطر منهج جديد وهو الاتصال البصري، وعلم الاصوات، وعلم التشكل الكلامي هذه التغييرات كانت فرصة ملائمة ليكون فن الرسم الجداري الرافديني القديم ضمن مقاربات هذا المنهج، ليكون أحد المفاتيح التي بواسطتها يمكن أمتلاك الخبرة من خلال العمليات الموصلة الى أستيعاب ونقد المناهج اللغوية التاريخية.

المبحث الأول:-

الرسم والرسم الجداري واللغه البصرية:-

ان بنائية الرسم الجداري في بلاد الرافدين هي عملية تحليلية تركيبيه بمستوى وعي اجتهد فيه الفنان الى ان يخلق نوع من النظام التركيبي لبنائية الافكار المرسومة على جدران المعابد او جدران القصور ،هذه العملية الابداعية في فن التصوير ،شكلت الوعي الفكري اولاً ثم الوعي الأدائي التقني التي سيطر على ذهنية الفنان الرافديني القديم، وقد استطاع ان يعمل في أليه تركيب نظم العلاقات في التشكيل، لترتبط بالاداء التقني،التي اوجدت نظام الشكل(في الرسم الجداري خصوصاً)نوعاً من الصلة مع التوجهات الفكرية لفنون سومر فكانت محفزات اعطت للرسم الجداري صفة الحداثة من رسم الى آخر ومن مكان الى آخر هناك (نوعأ من الصلة مع مع التوجهات

الحديثة والذائقية المعاصرة، فالرمزية والتكعيبية والتعبيرية والتجريدية والسرياليه وبكل اشكالاتها الشكليه، تلقت محفزات كانت بمثابة المنشط الفعال في بنائية الاشكال الحداثوية.)[1]

وبدليل ان الموضوعات الفكرية للرسم الجداري تنوعت وتباينت من وقت الى آخر، بداياتها كانت في المغارات والكهوف ومن ثم مع ظهور القرى الزراعية وتشكيل الوحدات السكنية، كانت هناك عوامل تحكمت في اظهار موضوعات تخضع للقرارات التي يتخذها الانسان الاول ويتم نقلها من خلال الفنون (عصر ماقبل الكتابة) وفي الغالب كانت ترسم على جدران المعابد والقصور ومن ثم ظهرت التماثيل الفخارية والاشكال النحتية هذه هي الأخرى كونت وحدات فكرية تقلقت بخبرات الفنان واعطته مرونة فكرية اخذ يطبقها على الجدار. كما في الشكل (1)

ومن خلال ذلك أن الرسم الجداري كانت له أهمية في الجانب الفني والجمالي تعلقت بافكار جديدة اخرى نقلت الى جدران القصور الملكية وبهذا يتمتع الفنان لقربه من الملوك بمهارات علمية وقدرات فنية وتقنية في عمليات الرسم. حيث تحددت الموضوعات وأخذت نوع من الاستقلالية واكملت بشكل واضح ونهائي حيث تطلب وضع تخطيطات اوليه لهيئة الموضوع واشكال الرسم بصورتها العامة ومن ثم تنتظم الوحدات الفكرية والبصرية ومستويات الاظهار للموضوع الفنون البصرية بمختلف انواعها، النحت ،الرسم الخزف، العمارة والتي اخذت صفة التشيكل من واقعها التاريخي واتخذت وسائط نقل مختلفة ليكون الرسم الجداري احد انواع فنون الرسم (ذات البعدين) وهذا كان اول شرط من شروط الرسم حتى وأن كان على لوحة القماش، أو الجدار هو تنظيم العلاقة المكانية والحيز، حيث يضع الرسام افكارهُ اولاً ومن ثم تهيئة الحيز المناسب لتفريغ تلك الافكار، وفرز العلاقة مع السطح ذات البعدين، الذي يتطلب ان يضع علاقات مرئية اكثر من بعد واحد لكي تكون الرسوم صورية ثنائية وبما ان هذه الاستخدامات غير مدروسة اساساً في الرسم الجداري القديم، ولكن عمليات المقاربة هي التي تظهر هذا الفن هو افكار مدروسة قائم على تنظيم العلاقات البنائية وطريقة تجميع وترتيب وتنسيق الشكل (الرموز والصور على هيئة السطح المسطح ذي البعدين)[2].

ربما الرسم الجداري من خلال افكاره البدائية لايحمل من التراكم المعرفي العلمي الا ذاتية التكوين الشكلي ، وبالرغم من ذلك فيها دلالات تنتمي الى ذاتها يكسر الغاز، مبنية على الفكرة وعلى الاداء التقني.

ولنأخذ موضوع الرسوم الجدارية الرافدينية القديمة كما الشكل(2).

---

[1] – د. زهير صاحب، تاريخ الفن في بلاد وادي النيل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، 2001 ص155.

[2] – Teaque, Wailter Dorwin, Design thisday, New yors: 1990, p.6-8.

الذي يعتبر اقدم رسم جداري في بلاد الرافدين .

ولنأخذ الرسم الجداري (موضوع البحث) فأن الشكل والصورة العامة وطريقة التنفيذ تمت بشروط. وهو اعطاء فرصة لعوامل تطبيق مهمة،ومن ثم تحديد مضامين جمالية تعلقت واشتركت في اسس ثابتة وحقائق الواقع، التي كانت تنفذ وفق عناصر التوازن والتوافق الانسجام، هذه الصور الفكرية كانت تبرهن ان الأشياء المادية وخصائص علاقاتها المكانية والجوهرية والزمنية تعد احد مراكز الفكر المهمة في تطور الفنون القديمة بصورتها الكلية.

إن فلسفة الفن القديم بصورة عامة، وفلسفة الفن في بلاد الرافدين، كانت تدور في محاور مابين المنهج العلمي للتفكير والمنهج العلمي للتعبير والمهارة المعرفية لوسائل نظرية الاتصال الادراكي سواء الحسي منها أوالذهني. وهذه كانت متمثلة في اساسيات كيفية ايصال المعلومة أو الفكره الى المتلقي الذي كان هو الاخر يستخدمها بصورتها الواقعية، دون تشويش او اي اعاقة من الفهم، ليصل الى مرحلة ازالة التعقيد من ناحية الشكل والمضمون وكما مدون في الشكل(3):

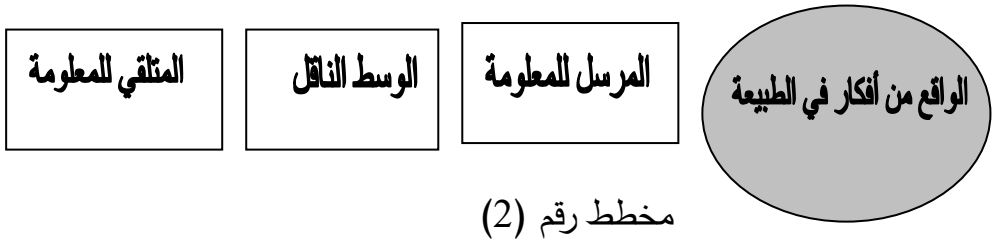

مخطط رقم (2)

افكار في الطبيعة صراع مع معطيات البيئة،كونت رسائل متعدده حملت تصورات ومدركات، فكانت لغة الاتصال البصري تنطبق على الرسوم الجدارية لانها مبنية على عناصر مفرداتها الاساسية، الفنان يرسل معلومة بواسطة الرموز، العلامات، الاشارات.وهذه بحاجة الى وسط ناقل ينظم مبادئ الارسال واسسها العملية لتصل الى المتلقي معلومات صحيحة وفق قواعد وقوانين(السميولوجيا)*.

الرسم الجداري هو احد الفنون التي عاصرت الانسان الاول في بلاد الرافدين،حيث كان يرسمها على جدران الكهوف والمغارات في المناطق الجبلية في الشمال ومناطق السهول وحتى مناطق العراء في الهضاب. ولهذا كان دائماً يحتاج الى الاتصال،وتكون لغة الاتصال مرسومة ومقروئة،لانها اعتمدت على لغة الرموز والاشارات هي احدى وسائل الايصال المهمة والمكملة ((اللغة والاشارات، رموز تعبر عن الفكر والواقع، وصلة هذه الرموز وثيقة ومتينة،لاسيما اذا علمنا ان الاشياء لها اربع وجودات منها وجودان حقيقيان وجود حسي ووجود فكري (ذهني)، ووجودان

وصفيان هما وجود لفظي ووجود كتابي اوخطي))[1]. وفي الرسوم الجدارية الرافدينية القديمة،كانت الرموز هي العمود الفقري لعملية الاتصال، وبدونها لايمكن للأتصال ان يحقق اغراضه وثمة حقيقة واقعة في فن الرسم الجداري، هو ان جميع الافكار والاساليب متوقفه على انتقال الرموز ذات المعنى المتعارف عليه مابين بيئة ومحيط وجوده ومابين المحيط الاخر المرسوم فيه، وبهذا كان الانسان الفنان الاول يرسم العديد من الحيوانات ومفردات البيئة الطبيعية، ليصل الى مرحلة مهمة من التوافق النفسي وماهو مرتبط مع العالم الخارجي.

فالاتصال هو نقل المعاني عن طريق الرموز، والرمز الذي يحمل المعنى والفكره هو جوهر الاتصال بجميع صوره ، والرمز بالمعنى الدقيق لايكتفي فيها بمجرد الدلالة، بل يضيف اليها شحنة عاطفية من نوع معين ومقصود .

هناك علامات مثلت المطر، واخرى عوامل الخصب والنماء والتكاثر،واخرى مثلت الانهار. كما في الشكل(4).

ومن هنا حملت الرسوم الجدارية الرافدينية القديمة، في مختلف مراحلها التكوينية من وجود الرسم في الكهوف والمغارات، الى فترة انشاء القرى الزراعية وبناء البيوت الى اعدادات دخول الفن في دائرة المعتقد الديني، الى العمل مع سلطة المعبد، ومن ثم الانتقال الى ادوار الحضاره، التي جعلت من بلاد الرافدين،مكانه مرموقة في تاريخ التطور الحضاري، وبما ان الفنون ولاسيما الرسم الجداري،وفنون النحت والفخار بأدواره الصناعية وفنون العماره اصبح البيئة الاوسع والاشمل لتكون، هي العامل الذي ينفذ عليه افكار له علاقه واضحه بالتخطيط البنائي وماتحويه تلك المباني لتنفيذ الرسوم على جدرانها.

هذه الارتباطات اعطت الرسم الجداري، اهمية بالغة وصلت بدايات ذروتها في عصر (جمدة نصر؟) ليكون اسلوب تقني جديد وصل الى النحت المركب على الجدار الذي بدأ يلبي رغبة عند المتلقي وخصوصاً من تقنية الوانه الزاهية. وهنا تعددت الرسوم ومواضيع الرسوم في مختلف بيئات الرافدين، لتؤدي الرموز فيها دوراً مهماً في الفنون البصرية من خلال رسومات جدارية بافكار ارتبطت بالحالات الطقوسية من شعائر ورقصات او خلال مناسبات ملكيه مهمة، اعدت فيها ترابطات وثيقة مابين الفن والمجتمع ومابين الفن ودخوله في دائرة المعتقد الديني، ومن خلال وجود تلك الرسوم في بيئات المعبد ومن خلالها اخذ الفنان، يترجم أشكال معقده موجودة في

* السيميولوجيا: مصطلح بارز في الكتابات الفرنسية يتناوله(سوسير) في كتابه دروس علم اللغة،ظهرت الى جانب (السميوطيقا)،(السيبرنطيقا)كلها مفاهيم جديدة ولها تعريفات عدة .سهلت للتفكير لبصري والفنون وسائل التمثيل والمحاكات لابداع التفكير.

[1] – د. مهدي فضل الله، المنطق، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط2 بيروت ص46– 47.

الطبيعة ويعطيها تبسيط واضح، لكنه دقيق وتؤدي المعنى نفسه للشكل الواقعي. كما في الشكل(5).

(فعملية الاتصال مبنية بالاساس على قدرات الادراك البصري واستجابة الانسان لها[1]) وبما ان التحول في الرسم الجداري، هو مظهر اسلوبي اي هو بمعنى الكشف عن المكان كبعد افتراضي في العمل الفني، والجدار هنا يرى الباحث ان عملية اختزال صورية الافكار، ماهي الا اشارات لغوية مبنية المناسبة في فهمها هو التأويل، ولكن باعتبار ان العلامة هي دالة رمزية تشير الى المحتوى، الفنان الرافديني واكب معها افكار من محيطها البيئي بدأ بتسطيح اللوحة مرة وابراز الاشكال مرة اخرى، وبالتالي كشف هوية وعلامات الدلالة البصرية، بعلاقة الانسان مع بيئته ومحيطه الاجتماعي. اخذ ينمي الصفات المؤثرة المجددة من الاشياء متضمنة هذا الفن التعبيري الذي اخذ يوقظ الاحساس لقربه من سلطة المعبد مرة ومن سلطة الحاكم مرة اخرى، وبالرغم من تجريد المعلومات البصرية من بعض رموزها او صورها لكن الاسس والمباديء التي تتعلق بدائرة المعتقد الديني لايمكن التقرب منها او حتى التلاعب فيها وان كانت في نفس الدائرة، لان التركيب والتنظيم هو الذي يظهر اهمية العملية الفنية التعبيرية للرسم الجداري والرمزية في إيجاد نوع من ابجديات الصورة، التي يجب ان نوضح من خلال هذا الفن ان الرموز الاساسية، التي يتعرف عليها الانسان بمجرد النظر اليها وبعضها منها يدل على دلالة واحدة او على معنى واحد، واذا تعددت اشكال الرموز في الرسم الجداري، فالدائرة هنا تتوسع وتكبر، وتعتبر وثيقة مهمة من وثائق الارسال، لتعطي وحدة كلية كشفت العلاقة بين طبيعة الانسان ومجتمعه البيئي.

وتأسيساً على ماتقدم نلاحظ ان الرموز في الرسوم الجدارية الرافدينية القديمة هي مدلولات تعبر عن تفكير الانسان واحاسسه بالرغم من دخول الفنان معترك العنف والاثارة مع الحيوان، ووجود لطخات الدماء وحالات السيطرة والقتل فيها، وهذا نراه لونا مستقاة من الطبيعة، يسخر الانسان دائما مايخدم وجوده والابتعاد عن مظاهر فنائه والانتقال الى العالم الاخر، هذا الفن اخذ مجالا ليكون وسيلة تفاهم ومظهر من مظاهر العقل البشري ولاسيما لم يدخل الانسان في عصر ظهور الكتابة. (في الفن يتم التعبير عن المشاعر والعواطف الانسانية خلال الرمز حيث تستخدم الالوان والاشكال لتنقل المعاني التي لايمكن ايصالها

[1]- Sorme Entormation Aspects of visual precption psychological Review, Lxi, 1954. p. 193.

باللغة الطبيعية اذ ان الرمز بحد ذاته عمل فني ينتقي مساره ونظمه من الطبيعة والحياة الانسانية[1].

ولكن المحركات الفكرية والنظرية هي التي تولد الشكل الخالص المرموز باتجاهات يخدم العمل الفني، والرسم الجداري وحضوره في المعبد او قصر الملك، هنا اخذ يتطور ليرى الفنان الرافديني القديم شكل العالم الموضوعي اخذ بالتباعد وزيادة في التعقيد وهو الان في مهمة لازالة التعقيد وتقارب المسافات ولانه لايستطيع السير خلف التحولات الشكلية الكثيرة والمتعددة ولان الرسم الجداري يحتوي على رموز الحروف وخصوصا في عصر اختراع الكتابة، ورموز مكتوبة متعارف عليها ومن ثم رموز صورية شكلت بدايات الكتابة واتخذت من أشكال مجردة وخطوط وكل مامن شأنه تشكيل الصورة طريقة للتعامل مع الحس البصري، كصور للالهه والكهنة والحكام والملوك اضافة الى صور النباتات والزهور والحيوانات والمياه.

ويرى الباحث ان الرسم الجداري، وعوامل تطور تلك الفنون في بلاد الرافدين كانت هناك افكار وقصص اخذ منها اللون في الجانب التقني تعاملا مع الحس البصري، في جلسات الالهة والملوك والكهنة وعامة الشعب وملابسهم وحاجياتهم الملازمة لهم. استخدامات الالوان هي الاخرى دخلت في الرسوم الجدارية برموز دلالية على واقع الشيء نفسه في السماء والماء اللون الازرق والشذري، ومن ثم استخدامات لمساحات لونية اعطت تعبيرات تجريدية كون اللون عنصر ادراكي ذهني، له علاقة وثيقة بالاشكال. وعلاقة لاتقل اهمية عن الاداء التقني، ان سمة اللون هو اعطاء التباين والتضاد والتجانس والانسجام في توليفة الوحدة البصرية الكلية للرسم الجداري، ويسهم اي اللون مساهمة فعالة في توصيل الفكرة في كل خطواتها من حيث جذب الانتباه وخلق جو وجداني وانفعال ملائم للمتلقي وخاصة وان للالوان ارتباطا بمعاني ومشاعر سيكولوجية تفضي الواقعية على الرسم الجداري في قصر الملك كما في الشكل(6).

العمل الفني للرسوم الجدارية قد ادى غرضه بالكامل، من خلال تجديد عوالم من الخبرات والمعالم يكون عالم الفنان وعالم المستخدم اي المحيط الذي ينفذ عليه الرسم الجداري نفسه، هذه العوالم تفرز افكار الموضوع المطروح المنفذ، وافكار استجابة مثلت الحدث، تعطي دورا للمؤلف والمستخدم بعد مؤثرات وعوامل خارجية وانسانية، كان تكون

[1] – دولف رايسر، ترجمة د. سلمان الواسطي، بين الفن والعلم، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد 1986 ص77.

مؤثرات البيئة الطبيعية او مؤشرات العلاقات الاجتماعية، تهيء تلك الافكار برسالة ناقلة مابين المؤلف والمستخدم تطلق بدورها معلومات مرسلة من مؤلف افكار الرسم الجداري، وافكار المستخدم له على عالمين تحت تأثير العوامل الخارجية والانسانية باتجاه المرسل والمتلقي وتحقيق النسب المتبادلة هي عملية الادراك والارسال البصري بين المرسل والمتلقي. وكما مبين في المخطط التالي:

((مخطط رقم (3)))

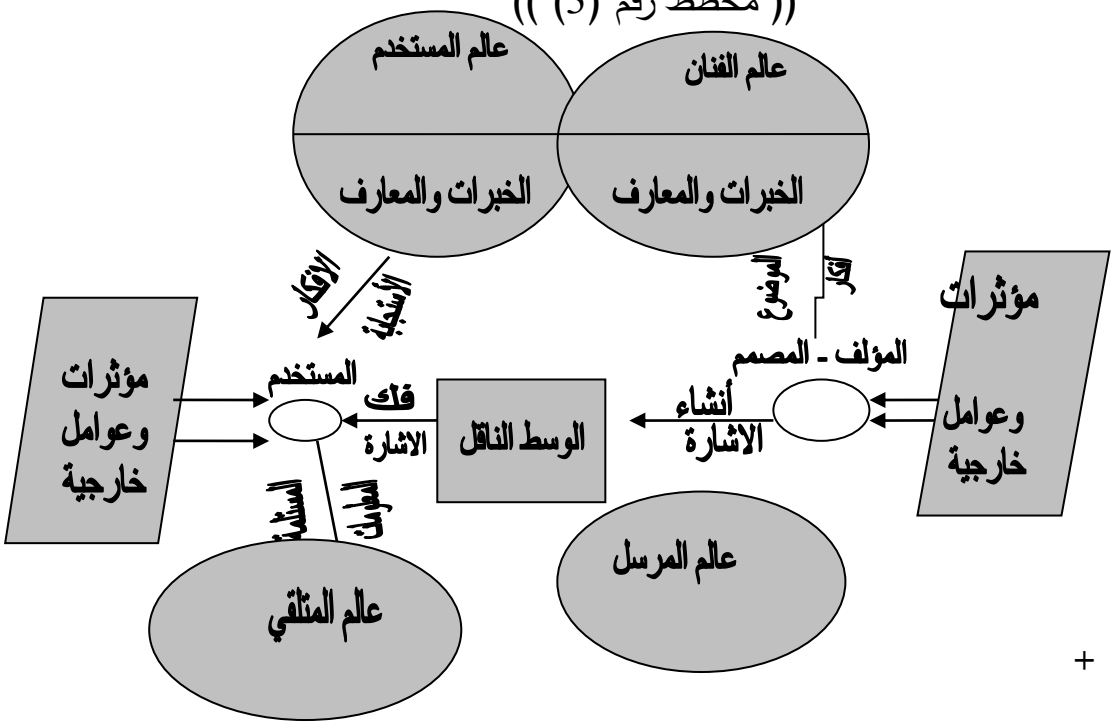

نسبة مساحة المفاهيم المتبادلة (الادراكية والبصرية)

وهنا نسبة المفاهيم المستلمة من قبل المتلقي للرسم الجداري، تعتمد بالدرجة الاساس على الرؤية الادراكية، وبهذا لابد من توسيع القدرات الادراكية لدى الانسان المتلقي ليبحث عن دور المثيرات(ليس مجرد بدء عملية الاحساس فحسب وانما تمد الفرد باكثر من ذلك [1]. ويبدو ان المفاهيم الادراكية سلوك ينمو ويتطور بالمعرفة والخبرة فاستقبال المثير المدرك (الرسم الجداري) يعتمد على مايحدث من تفاعل بين الرسم في جدار المعبد أوالقصر، وبين المتلقي، وهذا يقودنا الى اهمية الرؤية الادراكية كمرحلة لاحقة للرؤية البصرية في استيعاب ثبات بنية الشكل او بنيات الاشكال الذي يتمحور في خصائصه الاربعة الشكل، والحجم، واللون، والانسجام.

[1] – ديتج آرنوف، مقدمة في علم النفس، سلسلة ملخصات شوم، دور ماكجر وهيل للنشر، القاهرة، ص4 1977.

ومن هنا برزت اهمية التواصل التفهم المطور بين رسام الفن الجداري، الذي وجب عليه ان تتوفر فيه نسبة عالية من التخزين الحسي لمفاهيم واطر عملية الاتصال واطر عمليات تقنيات الرسم، من اجل الوصول الى درجات العمل الفني، كونه يستلزم منهج التفكير البصري في الحلق والابتكار، عند ذلك يتمكن للرسام الجداري ان يقدم التوليفة البصرية بمكوناتها الشكلية والجمالية والوظيفية المؤثرة والفعالة، بحيث تفيض تأثيرات جديدة وتترك في نفس المتلقي شيئا له معنى، او علامة لها مغزاها واهدافها، ولذلك كانت الرسوم الجدارية الرافدينية في القصور الملكية تعد من الرسوم المكتملة تصميما واداء وغرضاً وهدفاً، وهي حالة تطورية جاءت من تفاعل العناصر الفنية مع بعضها البعض، انها حالة تماسك من اجل تكوين وحدة لها قيمة اكبر من مجرد تجميع افكار واداءات ملوكية. كانت تتعامل مع عناصر اساسية، وجعلت منها مرتكزا في تكوين الهيئة، ومن خلال حركات المفردات ومكوناتها خلقت الانسجام ونظمت العلاقات البصرية، بالأضافة الى عامل التقنية الذي كان مطابقا مع الوحدة العضوية (الوحدة هي العنصر الاساسي وتعد اهم المرتكزات في تكوين هيئتها فمن خلالها تتكاتف كل العناصر ومكوناتها
لتخلق علاقة انسجام مع بعضها البعض وتنظم العلاقات المرئية وغير المرئية لوحداتها الساكنة والحركية وعن طريق تقنية اسلول المطابقة [1]).

الرسم الجداري الرافديني القديم هو في حقيقة الامر، كان بفعل التجريب تجسيد للافكار والمؤثرات البيئية الطبيعية، والتقنية المستعملة لارضية الجدار وعوامل التحضير، هذان العاملان يعتبران عملية تصميم متكاملة، كونهما دخلا في حيز الهندسية والمنظور والتماثل والتقابل الى جانب الافكار وتقنية الالوان المستخدمة ولهذا كانت مهمة الفنان الرافديني القديم في الرسم الجداري يدخل ضمن اطار موضوعي، واطار تقني اخراجي، ولهذا كانت نتاجاته الفنية الجدارية ذخيرة معرفية مهمة ووثيقة مسجلة لها من الصفات الفنية المنطبقة بكل خطواتها ومراحلها تحقق محتويات الاطر الموضوعية والاطر التقنية بهدف انتاج رسم جداري متكامل من حيث التصميم واسلوب الرسم. ويمكن توضيح فكرة الرسم الجداري (الرسوم الجدارية في بلاد الرافدين– موضوع البحث) بالمخطط التالي:

[1] – جيروم ستولينز، النقد الفني، ترجمة فؤاد زكريا، دراسة جى ليه فلسفية، الهيئة المصرية العاة للكتاب ط2، القاهرة، 1981، ص352.

مخطط رقم "(4)"

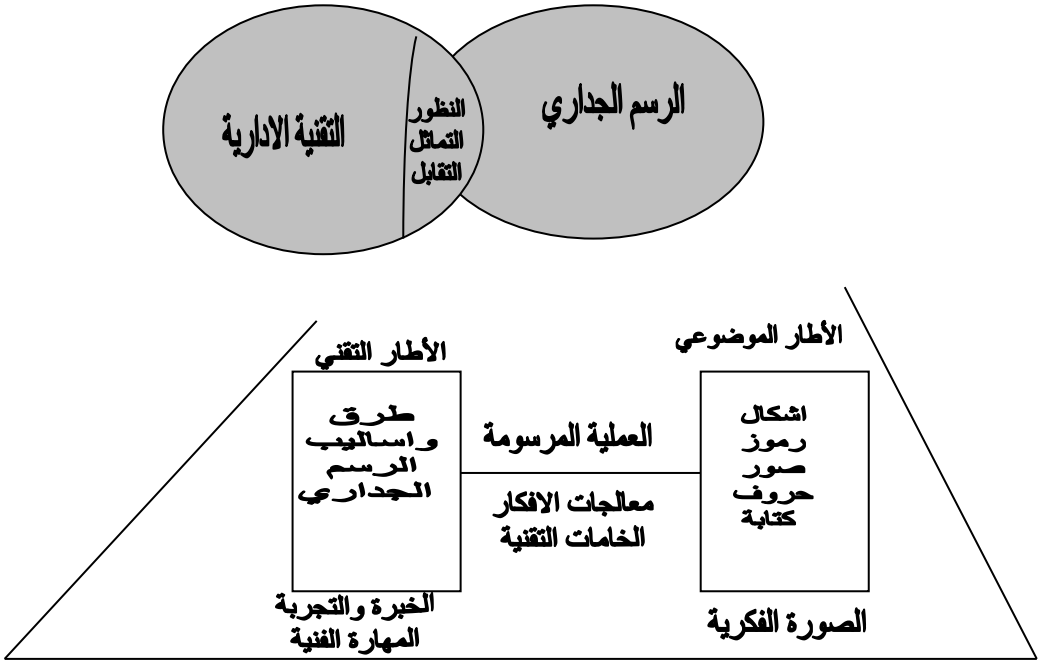

ويتضح من المخطط المذكوران مهمة الرسام يتناول اطارين مهمين هو اطار موضوعي فني، والثاني الاطار التقني والادائي المنتهي في اخراج الرسم الجداري في كل اساليبه، لذا الفنان الرافديني كان ملما بهذين الاطارين (ليلخص رادوف بيك الذخيرة المعرفية والفنية للرسام بالاتي:

الفن+ الاتصال = اتصال بصري

الفن+ التقنية = حدفه

الفن+ القنية+ الاتصال = التصميم

الفن+ التقنية+ الصناعة = تصميم انتاج))[1]

يرى الباحث ان جميع هذه النتائج تنطبق على الرسم الجداري الرافديني القديم بكل الخطوات والمراحل التي مر بها هذا الفن وان كان بدائيا في بداياته ولكن معرفته تسهل على الباحث تحقيق مادة ومحتوى للاطار الموضوعي والاطار التقني والذي يهدف الى انتاج الرسم الجداري على جدران الكهوف او المغارات او المعابد او القصور الملكية.

[1]- Jomes pildith, Communicationby Design, Publisher: Mc Gaw- Hill, 1970- p7.

وهنا يكن الاطار الموضوعي هو محور للمفاهيم الفكرية، والعملية في انشاء الهيئة الكلية للمضمون، وخصوصا عندما يتحدد بمرحلتين مهمتين هما:

1- مرحلة التخطيط والتنظيم للوحدة الفكرية (المضمون).

2- مرحلة انشاء عناصر وحدات التوليفة البصرية (الشكل).

اما الاطار التقني هو محور مهم للمعرفة والتجربة والخبرة عندما يقوم الفنان الرسام بأنتقاء واستخدام طرق ووسائل انتاج ليخرج عمله الفني محدد بوحدات عمل مترابطة استخدم بها الكثير من الوسائل المتاحة في البيئة. ومنها مخلفات الاشجار والوان وزهور النباتات وكذلك عظام الحيوانات الحادة منها كشفرات مستخدمة في اعمال الرسم. وكانت عملية تحضير الجدار لغرض الرسم هي احدى الوسائل التقنية المستخدمة التي تحددت بمراحل عمل شكلت خطوات الرسم الجداري وطرق تنفيذه.

وفيما يتعلق بالجانب الجمالي في مضامين الموضوعات والاشكال والتكوينات كانت هناك تكوينات تنظر اليها من زاوية وجودها الواقعي، اغلب الرسوم الجدارية مثلت الجوهر الاخلاقي، وهذا لايعني انها خالية من مظاهر الاستبداد الديني والسياسي، وانما تتجرد عدد من الرسوم لتكون مظهر من مظاهر الفعاليات الخاصة للملوك، هذا الايقاع كان يخاطب عامة الشعب لارتباطه بوظيفة ذات خصوصية، انحسرت بالوظيفة الجمالية ، وكونت اعتبارات فكرية نقلت نظام الصورة على الجدار (انه نوع من تحرير الخطاب التشكيلي التداولي والذي كان وسيلة اتصال روحية بين الافراد)[1] ودخولها في مرحلة انشاء عناصر التوليف البصري الذي اعتمد النظام الكلي في مجال الرسم وكذلك اعتمد الاسلوب التصميمي الذي اخذ يعالج المتغيرات البصرية (والتوليفة البصرية في نظامها الكلي في مجال التصميم تعتمد على الاسلوب التصميمي في معالجة المتغيرات البصرية والتي هي العامل الثاني المؤثر في التوليفة بعد الوحدة العضوية وهذا يتطلب وجود التنوع المتمثلة بعناصر الموقع والشكل والحجم)[2].

وهذه المتغيرات في الرسم الجداري هي ادوات عمل الفنان الرسام ليقوم بناء الوحدة البصرية الكلية، ومن الامور الحساسة والقلقة في هذا الجانب هو تمتع الرسام بالقدرة والامكانية والمهارة في تحقيق الموازنة والتوزيع المكاني لعناصر الرموز والاشكال والالوان لوحدات الموضوع بحيث تكون الفواصل الحيزية والبينية لكل عناصر من العناصر المرسومة على الجدار، تكون واضحة ومقروءة ومتميز بها درجة الثقل، وكثافة الاشكال والرموز في اصغر حيز من مستويات الاظهار السالبة او

[1] – د. زهير صاحب، تاريخ الفن في بلاد وادي النيل، المصدر السابق، ص156.

[2] – الواردة في ص18 الانكليزي.

الموجبة ، كذلك يحرص فنان الرسم الجداري القديم ان يجد العلاقة في المجال المرئي لكل هيئة من هيئات المواضيع المرسومة وذالك لابراز من هو مهم ومن هو الذين يتسيد الموضوع ويهيمن في المشهد حسب الاهمية والمرتبة في وحدة الفكرة الموضوعية كهدف والوحدة البصرية كهدف اخر مثل الموازنة الشكلية والموازنة اللاشكلية التي مثلت الرموز الموجودة في الرسم الجداري حسب قوة الجذب وشدة الانتباه وحركة الاشكال فيما يتعلق بحركة العين والتنقل والمتابعة لسير واتجاه كل الرموز اوالاشكال والتي تتطلب من المتلقي لحظات زمنية لكي يتفحص الرسم الجداري ضمن ابعاد سطح الرسم سواء كان في المعبد او القصر الملكي ولابد من(مراعاة الزمن واهميته واثره على المستخدم في اسلوب وموازنة استمرارية الحركة للرموز او الاشكال)[1].

[1] – Jaques Bertin, Graphics and Graphic information processing New york: 1981. p. 187.

الصور والأشكال

شكل ((1)) شكل((2))

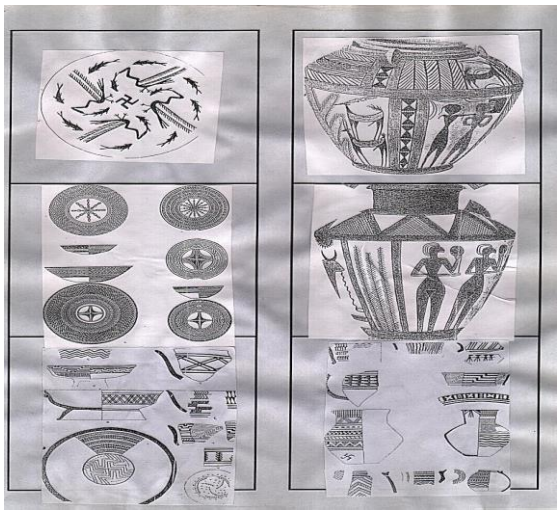

شكل((3)) شكل((4))

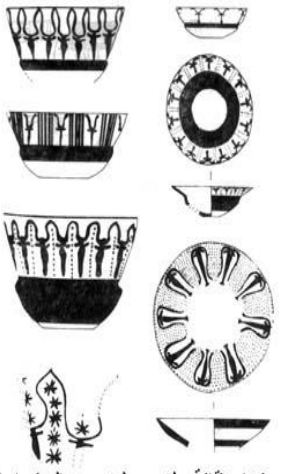

فخار ثقافة حلف وعليه رمز البوكرانيا

شكل((5)) شكل((6))

نتائج البحث ومناقشتها:

1- يعد الرسم الجداري الرافديني القديم من الاعمال الفنية المكتملة تصميما واداء وغرضا وهدفا انها متماسكة من اجل تكوين وحدة لها قيمة اكبر من انها مجرد تجميع عناصر مرسومة معينة منقولة من الواقع، كون الوحدة فيها هي العنصر الاساسي التي تعد من اهم المرتكزات في تكوينات هيئة الرسم على الجدار في المعبد او في الكهوف او المغارات او القصر الملكي ومن خلال تكاتف العناصر ومكوناتها تحقق علاقة انسجام مع بعضها البعض وتنظم العلاقات المرئية والغير مرئية لعناصر وحداتها الساكنة والحركية عن طريق وحدة الافكار والاداء التقني.

2- الرسوم الجدارية منذ بداية الرسوم وصولا الى رسوم القصور الملكية الملونة اندرجت في منظومات التفكير واعد الفنان قدرة واضحة على نقل الافكار ونقل معلومات في عصر (قبل الكتابة) في ايجاد علاقات بين العناصر المعرفية، والتي اندرحت هي الاخرى في اطار الدينامية ذات المفاهيم والخبرات والمهارات التي اكتسبها الفنان الرافديني وقربة من الملك في تسجيل وتوثيق تلك الاشكال المتعددة والمتنوعة وذالك وفق تنوع وظيفة النشاطات وطبيعة درجتها ومستواها في التكوين.

3- مهمة الفنان الرسام في بلاد الرافدين (الرسم الجداري) موضوع البحث تناول هذا الفن في اطارين الاول: الاطار الموضوعي الفني والاطار التقني الاخراجي، ولهذا كان ملما بهذين الاطارين والمعرفة المكتسبة هي التي حققت الرسم بمواضيعه متكاملا من الافكار وحتى تقنية الالوان الادائية العالية مرحلة التخطيط وتنظيم الوحدة الفكرية، ومرحلة انشاء عناصر وحدات التوليف البصرية للرسم الجداري.

4- اعتمد الرسم الجداري على نظام متقن يصل الى اعتماد الرسام الى التوليفة البصرية في نظام كلي اعتمد في معالجة كل المتغيرات البصرية وهذا تطلب منه وجود التنوع المتمثلة بعناصر العمل الفني، وكذلك المتغيرات وهي ادوات لبناء الوحدة البصرية الكلية للرسم الجداري وبهذا اظهر الفنان الرافديني في الرسم الجداري القدرة والامكانات والمهارات في تحقيق الموازنة والتوزيع الامثل والمهم لكل عناصر الموضوع.

5- اتقان الاطار الموضوعي والتقني وخصوصا الالوان المستخدمة في الرسوم الجدارية بكل وسائلها حققت خطة الرسم في ان يحتل منه اهمية بالغة لم تكن توثيقية او تسجيله

لاحداث وفعاليات وانما اظهرت عناصر العلاقات الجمالية المتمثلة بالانسجام والتناغم اضافة الى عناصر عززت الاطار الجمالي التي مثلت الهيمنة وقوة الجذب.

6- الرسوم الجدارية الرافدينية القديمة لاتكون ذات قيمة جمالية فقط مالم يساهم في تكوينها ايجاد معيار تعبيري متمثل بتجميع وربط العناصر والاجزاء بجميع علاقاتها المتبادلة وكذلك مستويات الاظهار الكلي للموضوع على سطح الجدار، بحيث يبقى اهتمام المتلقي للاستغراق في متعة متحققة من رسائل بصرية، كون العنصر الجمالي يستطيع ان يثير صور نفسيه وافكار مبهجة من خلال الالوان والخطوط والاشكال وكذلك الافكار تعطي معاني تصويريه ذهنيه هي الاخرى تحقق رسائل بصرية مثلت الرسوخ والاستقرار عند اختيار الافكار مرة واختيار الالوان مرة اخرى وبما ينسجم ويتوافق مع المواضع الواقعية المرسومة.

المصادر:

المصادر العربية والاجنبية مرتبة حسب التسلسل الوارد في البحث:

1- Robert. C.S., Design fundamentals, London 1951, p. 20.

2- د. صاحب زهير تاريخ الفن في بلاد النيل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ جامعة بغداد، 2001 ص155.

3- Teaque, Wailter Dorwin, Design this day, New york 1990, p.6-8.

4- د. فضل الله، مهدي، المنطق، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط2، بيروت ص46- 47.

5- Some Entormation Aspects of visual precption psychological Review. LXi 1954.

6- رامير، دولف، بين الفن والعالم، ترجمة د. سلمان الواسطي، دار المأمون للترجمة والنشر، العراق بغداد 1986، ص77.

7- أرنولف، رميج، مقدمة في علم النفس، سلسلة ملخصات- شوم دور ماكجرهيل للنشر جمهورية مصر العربية، القاهرة، 1977 ص4.

8- ستويكنز، جيروم، النقد الفني، ترجمة فؤاد زكريا، دراسة جمالية فلسفية، الهيئة المصرية للكتاب، ط2 القاهرة، 1981، ص352.

9- Jomes pildith, Communication by Design. Publisher Mc Gaw- Hill, 1970, p.7.

10- Jaques Bertin, Graphics and Graphics Infarmation processing, New york: 1981, p. 187.

11- Jaques Bertin, Graphics Semiologie, New york 1974, p. 105.